20 me année No 1013

Le Caire 1 — 12 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — أول ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فى ظلال سورة الرسول

تفسير آية

للأستاذ سيد قطب

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس . ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد »

« تلك الرسل » .. لا هؤلاء الرسل . . إنهم جماعة خاصة ، ذات طبيعة خاصة . ثم يجئ التفضيل والتفاضل فى دائرة هذه الجماعة ، أو هذه الطبيعة

فما الرسالة ؟ ما طبيعتها ؟ كيف تتم ؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا وبماذا ؟

أسئلة طالما أشفقت أن أبحث لها عن جواب ! إن حسى ليفهم بعشاعر ومعانى لا أجد لها كفاء من العبارات . ولكن لابد من تقريب المشاعر والمعانى بالعبارات !

إن لهذا الوجود سننا أصيلة ، يشير إليها هذا القرآن فيقول : « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » هذه السنن هى القوانين الكونية التى أودعها الله الوجود ، ليسير على وفقها ، ويتحرك بموجبها ، ويعمل بمقتضاها

والإنسان يكشف عن أطراف من هذه القوانين ، كلما ارتقى فى سلم المعرفة ، يكشف عنها — أو يكشف له عنها — بمقدار يناسب علمه المحدود ، المستمد من اللاحظة والتجربة ، وهما وسيلتان جزئيتان فى طبيعتهما ؛ ولكنهما تقودان أحيانا إلى أطراف من القوانين الكلية ، فى آماد متطاولة من الزمان . ثم يظل هذا الكشف جزئيا لأن سر التناسق بين تلك القوانين كلها ، الناموس الأزلى الخالد الذى بين القوانين جميعا ، ذلك السر يظل خافيا لا تهتدى إليه اللاحظة الجزئية ، ولا التجربة الجزئية مهما طالت الآماد

هنا يجئ دور الرسالة . دور الطبيعة الخاصة التى آتاها الله الاستعداد اللدنى لتتجاوب فى أعماقها — بطريقة ما نزال نجهل ماهيتها وإن كنا ندرك آثارها — مع ذلك الناموس الخالد الذى يسير الكون كله على هداه .. هذه الطبيعة الخاصة هى التى تتلقى الوحى ، فتطيق تلقيه ، لأنها مهيأة لاستقباله . إنها تتلقى الإشارة الإلهية التى يتلقاها هذا الوجود ، لأنها متصلة اتصالا مباشرا بناموس الوجود . . كيف تتلقى هذه الإشارة ، وبأى جهاز تستقبلها ؟ نحن فى حاجة — لكى نجيب — أن تكون لنا نحن هذه الطبيعة التى يهبها الله من يشاء من عباده . و « الله أعلم حيث يجعل رسالته »

* * *

كل الرسل أدركوا حقيقة « التوحيد » . وكلهم بعثوا بها . ذلك أن إتباع الناموس الواحد فى حسهم كله هداهم إلى مصدره الواحد الذى لا يتعدد — وإلا لتعدد الناموس وتعدد إيقاعه فى حسهم ، وهم المتصلون اتصالا مباشرا بالناموس الكونى فى أعماقهم — وكان هذا الإدراك فى فجر البشرية ، قبل أن تنمو

المعرفة الخارجية ، وقبل أن تتكشف بعض القوانين الكونية .. وكلهم دعا إلى عبادة الله الواحد ، لأن هـذا النطق الفطرى ، الناشئ من إيقاع الناموس الواحد ، فى الفترة الواصلة ، المتصلة بناموس الكون الواحد

ويوما بعد يوم تكشفت أطراف من قانون الوحدة الأزلى الخالد فى نظام الوجود .. وحدة التكوين ، ووحدة الحركة ، وأخيرا — فى هذه الأيام — وحدة « الذبذبات » لكل أنواع الذرات التى يتألف منها الكون المعروف .. لقد تكشف أن الذرة — وهى طاقة — هى أساس تكوين جميع القوى والأجسام ، ثم تكشف أن عدد « الذبذبات » الكهربائية واحد فى جميع الذرات .. إنه طرف من قانون الوحدة يتكشف بمقدار ما تطيق الملاحظة والتجربة أن تبلغ .. أما الطبائع الخاصة الموهوبة فقد أدركت القانون كله فى لمحة ، لأنها تتلقى إيقاعه وتطيق وحدها تلقيه

إنهم لم يجمعوا الأمثلة والشواهد على تلك الوحدة عن طريق التجارب العلمية ؛ ولكنهم وهبوا جهاز استقبال كامل مباشر ، فاستقبلوا إيقاع الناموس الواحد استقبالا داخليا مباشرا ، فأدركوا إدراكا مباشرا أن الإيقاع الواحد لابد منبعث عن ناموس واحد ، عن مصدر واحد .. واليوم تنبئ وحدة عدد الذبذبات الصادرة من جميع الذرات التى تلتقطها أجهزة العلم الحديثة وسجلتها ... تنبئ عن أن ذلك الجهاز اللدنى فى تلك الطبائع الخاصة الموهوبة ، كان أسبق ، وكان أدق ، وكان أشمل وأكمل ؛ لأنه أدرك ماوراء وحدة الإيقاع ، من وحدة المصدر ، ووحدة القدرة ، ووحدة المشيئة

ترى قد بلغت شيئا فى تصوير تلك المشاعر والمعانى ، التى تفعم حسى تجاه الرسالة ؟ أرجو . وإلا فليكتف القراء بتلك المشاعر والمعانى !

* * *

و « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » .. والتفضيل هنا قد يتعلق بالمحيط المقدر للرسول . كأن يكون رسول أمة ، أو جيل ، أو أجيال ، أو جميع الأجيال . كما يتعلق بالميزات التى يوهبها لشخصه أو لأمته . أو بطبيعة الرسالة ذاتها ومدى شمولها لجوانب الحياة الكونية والإنسانية

وقد ذكر النص هنا مثالين فى موسى وعيسى ؛ وأشار إشارة عامة إلى سواهما : « منهم من كلم الله — ورفع بعضهم درجات — وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس »

ولم يذكر محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى صدر الأمثلة ، لأن الخطاب موجه إليه ، وهذا إخبار له عن غيره من الرسل فقد سبق هذه الآية قوله تعالى :

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين »

وحين ننظر إلى مقامات الرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — من ناحية الاستعداد لإدراك الوحدة الكبرى ، ومن ناحية شمول الرسالة لكل جوانبها ، ومن ناحية محيطها وامتدادها نجد محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى القمة العليا . فالإسلام هو أكمل تصور لتلك الوحدة : وحدة الخالق الذى ليس كمثله أحد ، ووحدة الإرادة التى يصدر عنها الوجود كله بكلمة : « كن » . ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة ، ووحدة الناموس الذى يحكم هذا الوجود ، ووحدة الحياة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق ، ووحدة البشرية من آدم إلى آخر أبنائه فى الأرض ، ووحدة الدين الصادر من الإله الواحد إلى البشرية الواحدة ، ووحدة الرسل المبلغين لهذه الدعوة ، ووحدة المؤمنين الذين لبوا دعوة الدعاة ، ووحدة النفس البشرية جسما وعقلا وروحا ، غريزة وميلا وشوقا ، ووحدة العمل والعبادة ما دام كلاهما متجها إلى الله ، ووحدة الدنيا والآخرة دارى العمل والجزاء

ومحمد — صلى الله عليه وسلم — هو الذى أطاقت روحه التجاوب المطلق مع الوحدة الكبرى ، كما أطاق عقله تصور هذه الوحدة وتمثلها

كذلك هو الرسول الذى أرسل إلى البشر كافة ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والذى اعتمدت رسالته على الإدراك الإنسانى الواعى دون ضغط حتى من معجزة مادية قاهرة ، ليعلن بذلك عهد الرشد الإنسانى

ومن ثم كان هو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات ، وهذا ما يعنينى أن أبرزه هنا ، تفسيرا لانقطاع الوحى بعده . فلقد ارتسمت للبشرية فى رسالته تلك الوحدة الكبرى ، وأعلن

البقية على صفحة ١٣٥٧